النشاط الثقافي في الغرب

الاتحاد السوفياتي

اهرنبورغ يهاجم ويدافع ...

نشر ايليا اهرنبورغ في الشهر الماضي مقالين هامين في مجلة « ليتيراتورنايا غارتيا » يبسط فيهما « وجهة نظره بشأن اتساع الثقافة السوفياتية ومستقبلها » وهو يتوجه الى جمهورين في وقت واحد : الى القراء السوفيات الذين يتكاثر عددهم ويشكون من « قلة الكتب الجيدة » التي صدرت في الاتحاد السوفياتي في هذه السنوات الأخيرة . وهو يرد كذلك على المثقفين الغربيين الذين « لا يمكن اعتبارهم في عداد المدافعين عن الرأسمالية » ولكنهم تحت تأثير « بعض الأحداث ... يعبرون عن شكوكهم » ويبدو أنهم « مستعدون للانقلاب على اصدقاء الأمس ، بل على ما يشكل مركز وجودهم بالذات » .

ويقول اهرنبورغ :

« في الصيف الماضي ، حين كنت اقرأ الصحف الغربية واناقش مفكري الغرب ، لاحظت لديهم قلقاً متزايداً . لقد رأى بعض الكتاب والعلماء والفنانين إننا نشجب عدداً من اخطاء ماضينا ، فبدأوا يضعون موضع الشك جميع ما حققه المجتمع والثقافة السوفياتيان . » وبعد أن صرح اهرنبورغ بان الرأسماليين لا يعترفون قط باخطائهم ، يتابع قائلا : « إن بعض الادباء الغربيين الذين يرتابون الآن باوضح الوان نجاحنا وأجلاها ، كانوا منذ خمس سنوات شديدي الاعجاب بكل ما كان يبلغهم من بلادنا ، بما في ذلك ، الروايات الرديئة والافلام التي لا قيمة لها . فكأنهم مراهقون خاب ظنهم بالحب .. وحين كنت اقرأ مقالا مدحياً عن رواية شبه شعبية او عن بعض لوحات رسام ساذج ، او عن فيلم « سقوط برلين » كنت احسني ، اكثر من مرة ، مأخوذاً بالدهشة : كيف يستطيع اناس يحبون الفن ويفهمونه ان يعجبوا بمثل هذا الانتاج ؟ اما اليوم فان عدداً كبيراً من اولئك المتحمسين بدأوا يكتبون عن انعدام القيم في الثقافة السوفياتية .. إن الاشتراكية ليست ديناً ، وانما هي قائمة على العقل والعلم وحس العدالة .. وينبغي الا تكون ثمة علاقة مشتركة بين حب المجتمع السوفياتي والثقافة السوفياتية ، وبين العقائدية .. إننا لا نريد حباً اعمى ، وانما يستحق شعبنا وثقافتنا حباً ذكياً واعياً . »

ثم يطلب اهرنبورغ من المثقفين ألا يفقدوا حس المنظورات التاريخية ، والا ينسوا الصعوبات الهائلة التي واجهها الاتحاد السوفياتي منذ اربعين سنة : « فان جميع انتصاراتنا ، وجميع هزائمنا . مردها الى اننا نبني بيتاً جديداً بدلا من ان نكتفي بترميم القديم . » ثم ذكر ان ثلثي الشعب السوفياتي كان امياً عام ١٩٢٠ ، وان جميع الروس الآن يحسنون القراءة والكتابة ، وان التعليم الثانوي أصبح منذ العام الماضي اجبارياً على جميع الشبان في الاتحاد السوفياتي . ولذلك يستطيع الجميع أن يتذوقوا الادب والفن : « لقد أصبح الكتاب عندنا امراً ضرورياً جداً . وفي اجتماعات القراء التي تعقد في المكتبات العامة ، يستطيع العامل الميكانيكي والدكتورة والعاملة الصغيرة ان يتناقشوا جميعاً . فليس بينهم تلك الهوة التي تفصل المثقفين الغربيين عن الشعب . »

واستطرد الكاتب السوفياتي الى القول انه « ينبغي الاعتراف بان بعض الكتاب اختاروا الطريق الأسهل في السنوات الماضية . اما اليوم ، فلا تجد الكتاب يخشون بدائية القراء ، بل إن هناك كثيرين من القراء يضحكون بمرارة من بدائية بعض الروايات او المسرحيات .. إن علي ان احضر غالباً اجتماعات القراء ، فأجد العمال والطلاب والمهندسين وربات البيوت يتحدثون عن الكتب خيراً مما يتحدث عنها كثير من نقادنا .. وجميعهم يطلبون ادباً أغنى مغزى واوفر عمقاً وتعقيداً . »

ويقر اهرنبورغ بانه لم يظهر ليون تولتسوي آخر في الادب السوفياتي ولكنه يضيف انه لم يظهر كذلك بلزاك آخر او ستاندال آخر في الادب الغربي في الاربعين سنة الماضية . وغياب مثل هذه الوجوه في الطرفين ليس له في نظر اهرنبورغ معنى واحد. فانه يرد تهمة «التصلب» التي اتهمت بها مجلة « اسبري » الفرنسية الادب السوفياتي ويلقيها على الادب الغربي . وهو يرى ان في الغرب « ازمة شيخوخة » وان في الاتحاد السوفياتي « ازمة نمو » ويلح على هذا الاختلاف قائلا : « إن شق الطرق الجديدة ، والاكتشاف ، اصعب كثيراً من تحسين نماذج مكتسبة . »

على ان اهرنبورغ يعترف باسباب بعض الصعوبات الحالية التي يواجهها الادب السوفياتي . فبعد ان يرد في ذلك على اصحاب نظرية « الفن للفن » ويؤكد ان على الكاتب ان يكون « متحيزاً » كما هو شأن دانتي في « الملهاة الالهية » وستاندال في « الأحمر والاسود » يهاجم المفهوم « الاداري » administrationniste للأدب، هذا المفهوم الذي تجري عليه منذ عشرين سنة دور النشر والنقاد السوفيات . فقد حل محل نظرية « غياب الصراع » التي ذاعت منذ سنوات ، « مانوية » ليست خيراً منها على الاطلاق . ويؤكد اهرنبورغ انه لا يكفي ان نعارض اشخاصاً طيبين كلياً باشخاص رديئين كلياً ، ولا ان نزن في كل رواية « نصيب السكر ونصيب المر » فالواقع اشد من ذلك تعقيداً .

ويقول أهرنبورغ إن من الواجب ان يقبل السوفيات على ترجمة الآثار الغربية إقبالا كبيراً لأنه لا يخشى على الشعب السوفياتي « الراشد » . وهو يرى من المضحك مهاجمة النقاد الفنيين الذين اثنوا على « الانطباعيين » الفرنسيين الذين عرضوا لوحاتهم اخيراً في موسكو .

اطلبوا « الآداب »
في الدار البيضاء (مراكش)
من
مكتبة الزيات
شارع مناستير ١١٨ – ١١٦ – ١١٤

النشاط الثقافي في الغرب

فرنسا

« معركة الجزائر » ايضاً ...

من الطبيعي ان يستمر بحث قضية الجزائر في الصحف والمجلات ، ادبية كانت ام سياسية ، ما دامت الحرب قائمة في الجزائر ، وما دام القتلى يسقطون كل يوم من الجانبين ، وما دامت روح الاستعمار الفرنسي هي التي تقود سياسة الحكومة الفرنسية الحاضرة ..

وطبيعي ايضاً ان تنقسم هذه الصحف في الرأي ، ما دامت الدعاية الحكومية مستمرة في تشويه الحقائق وتضليل الرأي العام الفرنسي عن الحقيقة والواقع . على ان هناك عدداً من الصحف الحرة التي تنظر الى القضية نظرة حق وتجرد وانسانية ولعل أهم هذه الصحف صحيفة « فرانس اوبسرفاتور » الحرة التي تنشر وثائق ورسائل تحاول ان ترسم للقارئ الفرنسي حقيقة الوضع بالجزائر . ثم تأتي صحيفة « اكسبريس » التي يعالج فيها الكاتب الفرنسي الكبير فرانسوا مورياك قضايا الجزائر باستمرار ، فيبدو احياناً صريحاً واحياناً اخرى متحفظاً .

وقد نشر مورياك في العدد الاخير من « اكسبريس » (رقم ٢٩٧) مقالا اورد فيه رسالة لاديب فرنسي جزائري الأصل تعرفه جميع الاوساط الادبية لما له من نشاط وتأثير في مجرى الادب الفرنسي المعاصر ، وهو جان عمروش الذي يعتبر من اكبر المطلعين على القضايا الادبية الحديثة ، والذي يتابع القضية الجزائرية متابعة مستمرة ويهتم بذلك البلد الذي كان مسقط رأسه . وكان مورياك قد كتب في عدد سابق كلمة توجه فيها الى زعماء جبهة التحرير الوطني في الجزائر ان يقبلوا التفاوض مع فرنسا ، وان يتراجعوا عن المطالبة بالقومية الجزائرية . فكتب له عمروش رسالة يقول فيها : « إن مطالبة جبهة التحرير الوطني بالتنازل عن مطلب ليس هو فقط اهم مطلب من مطالبها ، بل هو حجر الزاوية وركيزة جميع المطالب الاخرى ، نقصد التنازل عن القومية الجزائرية ، هذه القومية التي تعيد للشعب الجزائري وجوده كشعب وشرفه كشعب – إن ذلك ليس طلباً للتنازل ، بل انه يعني ان على الجبهة ان توقع الى الابد ، او الى سنوات طويلة ، الوثيقة الرسمية لموت الشعب الجزائري . ونحن نرى انه ينبغي للجزائر قبل كل شيء ان تكون الجزائر ، او ان « تكون » بكل بساطة ، وان يعترف بها على انها غير فرنسا ، وانها أجنبية عن فرنسا ، وان تنبثق من العدم السياسي والحقوقي ، هذا العدم الذي اسقطها فيه الغزو والاحتلال الاستعماري .. صحيح اذ ذلك سيكون نهاية « اخوة » وهمية ، ولكنه سيكون كذلك بدء علاقة جديدة تستطيع الصداقة فيها ان تقوم بين اجانب ، على اسس مساواة جديدة ، لا على اساس علاقة السيد بالعبد ، او علاقة المعلم بالتلميذ . »

اما صحيفة « فرانس اوبسرفاتور » فما تزال تنشر وثائق هامة عن فظائع المستعمرين الفرنسيين في الجزائر . وكان آخر ما نشرته رسائل . كتبها جندي فرنسي شاب ، يدعى جان موللر J Muller قتل في كمين نصبه الجزائريون . وتقول الصحيفة إن فظاعة الاعمال التي يسردها الجندي في رسائله أمر واضح . وقد شاء اخوه ان يحقق في هذه الأعمال ، فوجد اربعة عشر من زملاء اخيه القتيل مستعدين للشهادة بصحة الاشياء التي اوردها ، وكلها تدل على ان المستعمرين لا يتصورون ان يعاملوا الجزائريين معاملة انسانية ، لأنهم يعتبرونهم في درجة الحيوان ، وهذا ما دفع سكان الجزائر الى ان يثوروا دفاعاً عن شرف انسانيتهم .

الولايات المتحدة

فولكنر يحاضر ...

دعي الكاتب الاميركي الكبير وليم فولكنر الى القاء عدد من المحاضرات في الادب ، طوال خمسة أشهر في جامعة فيرجينيا . وبعد أن القى محاضرته الاولى صرح بقوله :

« لقد أصابني الذعر من الحضور ! »

والواقع ان ملك السويد وجميع اشراف ستوكهلم قد أخافوه عام ١٩٥٠ حين تسلم جائزة نوبل ، اقل مما أخافه الستة عشر طالباً الذين سجلوا اسماءهم لحضور دروسه . وقد قال فولكنر إنه يشك في أن يكون لهذه المحاضرات اي تأثير على الاديب المتمرن . « ولكن من يدري ؟ هل هناك أية أهمية لغرفة مدفأة بالنسبة لروائي ؟ قد يكون الجواب نعم أحياناً . لأن بعض الادباء عاجزون كل العجز عن البقاء في غرفة باردة . »

فولكنر

وقد سئل فولكنر لماذا اختار جامعة فيرجينيا بالذات ، فأجاب : « لأن جميع سكان فيرجينيا من « السنوب » . وانا احب « السنوب » . فانهم بحاجة الى وقت طويل جداً ليمارسوا نزعتهم السنوبية ، حتى لا يبقى لهم دقيقة واحدة لكي يبعثوا الضجر في نفوس معاصريهم . »

وقد عرض فولكنر في محاضرته الاولى آراءه بالأدب الاميركي المعاصر ، وكان مما قاله : « إن الاديب الاميركي لا يكتفي بان يتمنى التفوق على صديقي همنغواي او صديقي دوس باسوس ؛ ولكنه يود ان يكون اعظم من سرفانتس او دستوفيسكي . وليس فينا من هو في عظمة هذين الاخيرين . لقد أخفقنا ، وليس في الفن درجة في الفشل . فاما ان ينجح الكاتب او ان يخفق »

اما اعظم الكتاب الاميركيين في رأي فولكنر فهم « توماس وولف وفولكنر ودوس باسوس وكالدويل وهمنغواي . وهذا التعدد متحيز ، وهو يمثل تدرجاً في التقييم . فوولف هو اعظمهم ، لأنه كان اجرأهم ، وقد حاول ان يلم تاريخ القلب الانساني كله على رأس دبوس . »

اما في اوروبا فيرى القراء المتذوقون ان فولكنر يبالغ في احترام وولف ولا سيما ارسكين كالدويل ، ويهمل بعض الاهمال همنغواي – وفولكنر !

النشاط الثقافي في الغرب

لوحات ميللر ...

بالرغم من ان هنري ميللر يعيش في مقصورته بكاليفورنيا بعيداً ومنعزلا عن الناس ، فقد عين عضواً في « المعهد الوطني للفنون والآداب » وهو ما يعادل الاكاديميات في البلدان الاخرى .

ويعتبر ميللر من اقل الادباء رصانة ، ولكنه كذلك من اجرأهم . وقد نشر اخيراً بعض الكتب التي يبدو فيها رصيناً ، ومنها « ذكريات ذكريات » و « البسمة عند اسفل السلم » و « هملت » و « شيطان في الجنة » . ثم ظهر فجأة انه رسام ، وان له لوحات جيدة ..

والواقع ان معرضاً للوحات ميللر المائية قد اقيم اخيراً في « بريد غستون ارت غاليري » بطوكيو يذكرنا بلوحات ميرو وروووشاغال ؛ وقد كتب ناقد ياباني يقول عن المعرض : « كنت حريصاً على ان اري كيف ينعكس ذوق ميللر الادبي في آثاره التصويرية . ولقد دهشت جداً ، لأني لم أجد في لوحاته اي اثر من كل ما عبر عنه في كتبه ، من مثل نشدان الحرية الجنسية ونقد السياسة المعاصرة نقداً عنيفاً وما الى ذلك .. وقد رأيت انه منشغل خصوصاً باشياء تعني العالم غير الحالي . وعناوين لوحاته تشهد بهذا التحول : « مرنا الاحلام » ، « الحالم » ، « بحثاً عن القلب » ، « في مكان ما من الصين » ، « عرس هندي » ، « فانتا زي طفولي » ..

وعلى هذا يكون ميللر قد أصبح فناناً هادئاً عاقلا رصيناً ...

انكلترا

لمراسل « الآداب » خالد القشطيني

كتاب جدير بثمنه

نصيحة لكل من مسه القلق العلمي الاخير ، وحن الى تفاؤل القرن الفائت بالعلم كاساس للخير والمعرفة ، ان يقترض خمسة شلنات ويقتني « الجنس البشري » الذي نشرته « بليكان » لانطوني برنت ، الاستاذ في جامعة غلاسكو وعضو منظمة الصحة العالمية . هذا كتاب يجب ان يوضع مع الصحف اليومية للمطالعة ومع القواميس للمراجعة . انه ليس بحثاً بيولوجياً بل دراسة تهم من يسوس ومن يساس ، من يضطلع بالتعليم ومن يشقى بأوزاره ، من تريد ان تتزوج ومن يريد ان يتطلق ، ثم كل من يكسب قوته من هذه المشاكل كمصلح .

لم يؤلف الكتاب استاذ أو عالم بل الفه انسان . لهذا لم يجعل برنت من الانسان موضوعاً للبيولوجيا كعادة العلماء بل جعل البيولوجيا وسيلة للانسان . انه ليخزيه ان يري الضفدع ، هذه البشاعة الشاذة في حيوان ، النموذج الأمثل لفضيلة الانسان — الفقريات ، فيفني الطلاب شبابهم يدرسون كل وريد فيه دون ان يتعلموا شيئاً عن الانسان وتبقى الاسئلة التي شغلتنا ونحن صغار ، من اين جاء بنا ابوانا ، لا تلقى من المعلمين غير الردع ومن الآباء غير انهم وجدونا على شاطيء النهر .

في حديث القاه برتراند رسل في الشهر الماضي ، وصف كيف كانت فواجع القنبلة الذرية صورة في ذهنه منذ اول اتصاله بالعلوم ، وشعر وما زال ، ان ما يحتاجه العلماء ليس المعرفة بل الشعور . الشعور هو عصب كتاب برنت . وقد اشرف برنت اثناء الحرب على مكافحة الاوبئة في الشرق الادنى . ولاشك ان تلك الاحوال التي جعلت من أدبنا سياسة ومن سياستنا تمثيلا سينمائياً جعلت من العالم البيولوجي باحثاً اجتماعياً . فقد اكتشف من خبرته هنا ان شيئاً يربض وراء كل آفة هو الفقر . وتلعب هذه الكارثة في كتابه ما تلعبه المرأة في الادب القديم .. فتش عنها في كل مأساة حتى ليصبح التفتيش اسطورياً . فقصر القامة إن هو الا سوء تغذية وتأخر الزنوج في اميركا هو نتيجة لقلة المبالغ المرصدة لهم . وانخفاض الذكاء بين الفقراء نتيجة لفقرهم وليس فقرهم نتيجة لغبائهم كما نتصور .

ويستهل المؤلف الكتاب بالبيئة والوراثة وكيف يتفاعلان في تكوين الفرد حتى يتعسر تمييزهما . ولكننا اذ نعجز امام الوراثة نجد البيئة طيعة للتغيير الذي يصل عند برنت حداً يتحدى فيه الوراثه . فمثلا : ان نوعاً من فقر الدم ظل ينتشر بين بعض الزنوج رغم كونه وراثياً دون ان ينقرض بالانتخاب الطبيعي كالمعتاد . وتبين اخيراً ان ما يكفل الاستمرار للمرضى به هو ان المرض يكسبهم مناعة ضد الملاريا . وهكذا كانوا في تفوق على اخوانهم . ولكن بعد انتقال الزنوج الى اميركا حيث انعدمت الملاريا فقد المصابون به ميزتهم وفعلا اخذوا بالانقراض مع العلة التي يحملونها .

بمثل هذا التغيير البيئي يمكن معالجة أعسر مشاكل الوراثة دون لجوء الى تعسفات المذاهب العنصرية والطبقية . يدحض المؤلف دعاوى الصهيونية والنازية واليوجينية ثم يقرر أنه « يوجد الآن جنس واحد من البشر ، كل الفوارق الطبيعية كلون البشرة ذات قيمة تافهة . ونظريات انحطاط أو إجرامية جماعات معينة تنشأ غالباً من الحاجات السياسية لجماعة متسلطة كالفاتح الاجنبي ويستخدم العمل الرخيص . تضيع قابليات واسعة ويقترف حيف كبير بالوضع السيء الذي تعيشه الشعوب المستعمرة والمتأخرة . » لو كتب العلم بهذا الشكل لألغت إيتن وهارو تدريس العلوم في مناهجهما دون تردد .

إن كتابة برنت تذكرنا بانسانية عهد النهضة . انه يرفض التقاليد العلمية ، يرفض المختبر والمتحف ويتمسك بالانسان وواقعه . فبينما يبين لنا كيف عاش انسان النينورذال في الكهوف يستدرك فيقول الارجح ان علماء الآثار هم الذين يقضون حياتهم في الكهوف فيحسبون كل تاريخ الانسان هناك !

يعالج الكتاب مشاكل الجنس والزواج ، الحمل وتفاديه ثم يتوسع في المدى والعموم حتى ينتهي بمشاكل التغذية في العالم ويرينا كيف حددت امريكا نطاق الانتاج الزراعي حفظاً للاسعار في وقت تتشكى فيه اكثرية العالم من سوء التغذية . ويرى برنت على هذه الأرض وفي دماغ الانسان ثروات لا تنتهي ، وعندما يجتمع البشر لاستخلاص هذه الثروة بالتعاون ستزول كافة الافكار والنظريات العدائية التي استنفد الرد عليها ٣٥٠ صفحة من الكتاب .

طبع على

مطبعة دار الكتب - بيروت

بناية العازارية